DOI: 10.33193/JALHSS.52.2020.72
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (52) May 2020
العدد (52) مايو 2020

التفسير بين مدرستي مكة والعراق

د. إبراهيم محمد توفيق زيود
كلية الشريعة – جامعة النجاح الوطنية - فلسطين
الايميل: z.zyoud2015@gmail.com

الملخص

يتحدث هذا البحث عن مدرستي التفسير المكية والعراقية، واللتان يعتبران أبرز مدراس التفسير وأهمها، فقد كان أصحاب هاتين المدرستين من علماء الصحابة في التفسير، وأسس كل منهم مدرسته التي اتسمت بطابعها الخاص بها، ويتحدث الباحث عن كل مدرسة من حيث النشأة والتأسيس وأبرز أتباعها، ومكان نشأتها، بالإضافة إلى أبرز خصائص كل من هذه المدرستين، وقد قسم الباحث بحثه إلى بابين، يتناول في الباب الأول: مدارس التفسير ونشأتها وأبرز أتباعها، وفي الباب الثاني تحدث عن سبب بزوغ ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم، في التفسير ، ثم تحدث أخيراً عن خصائص كل مدرسة من المدرستين. وختم البحث بأبرز النتائج، وأهم المصادر والمراجع التي اعتمد عليها.

الكلمات المفتاحية: المدرسة المكية، المدرسة العراقية، مدارس التفسير، ابن عباس، ابن مسعود.

DOI: 10.33193/JALHSS.52.2020.72
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (52) May 2020
العدد (52) مايو 2020

Interpretation Approaches of Maccan and Iraqi School

Dr. Ibrahim Mohammad Zyoud
College of Sharea' – An-Najah National University – Palestine
Email: z.zyoud2015@gmail.com

ABSTRACT

This research discusses two of the most famous and important traditional schools (branches) of Quranic interpretation, which are the Meccan and the Iraqi schools. These two schools gain the interest, since they were founded by the companions (Sahabah) of the prophet Mohammed peace be upon him. Each of these two schools has its own characteristics and remarks. The author investigates the origin, foundation, characteristics, remarks and prominent followers of each of these two schools. This research is divided to two main chapters. The first chapter deals with the foundation and the prominent followers of these two schools. In the second chapter, the characteristics and the reasons behind the emergence of Ibn Abbas and Ibn Masoud, may Allah be pleased with them, have been highlighted. Finally, the research was concluded with the results.

Keywords: Ibn Masoud, Ibn Abbas, Mecca school, Iraqi School.

DOI: 10.33193/JALHSS.52.2020.72
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (52) May 2020
العدد (52) مايو 2020

مقدمة

لو أننا رجعنا إلى عهد الصحابة لوجدنا أنهم لم يكونوا في درجة واحدة بالنسبة لفهم معانى القرآن، بل تفاوتت مراتبهم، وأشكل على بعضهم ما ظهر لبعض آخر منهم، وهذا يرجع إلى تفاوتهم في القوة العقلية، وتفاوتهم في معرفة ما أحاط بالقرآن من ظروف وملابسات، وأكثر من هذا، أنهم كانوا لا يتساوون في معرفة المعاني التي وُضعت لها المفردات، فمن مفردات القرآن ما خفي معناه على بعض الصحابة، ولا ضَيْر في هذا، فإن اللغة لا يحيط بها إلا معصوم، ولم يدَّع أحد أن كل فرد من أُمَّة يعرف جميع ألفاظ لغتها.

فالصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - كانوا يتفاوتون في القدرة على فهم القرآن وبيان معانيه المرادة منه، فقد كانوا يتفاوتون في العلم بلغتهم، فمنهم من كان واسع الاطلاع فيها ملِّماً بغريبها، ومنهم دون ذلك، ومنهم مَن كان يلازم النبي صلى الله عليه وسلم فيعرف من أسباب النزول ما لا يعرفه غيره، أضف إلى هذا وذاك أن الصحابة لم يكونوا في درجتهم العلمية ومواهبهم العقلية سواء، بل كانوا مختلفين في ذلك اختلافاً عظيماً.

وقد اعتنى جماعة من الصحابة رضوان الله عليهم بالتفسير وكان لهم الحظ الأوفر في تفسير القرآن الكريم وبيان معانيه، وكان لهم ما لم يتسن لغيرهم من الصحابة، ومن هؤلاء الصحابة ابن عباس (صاحب المدرسة المكية) وابن مسعود (صاحب المدرسة العراقية) رضي الله عنهم. والراجع الى كتب التفسير يلحظ هذا بشكل واضح.

ولا شك أن الصحابة رضوان الله عليهم أعلم الناس بكتاب الله، وبسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فوجب اتباعهم والأخذ من منهلهم العذب، والسير على طريقة في التفكر والتدبر لآيات الله سبحانه، قال ابن تيمية رحمه الله: " وفي الجملة من عَدَل عن مذاهب الصحابة والتابعين وتفسيرهم إلى ما يخالف ذلك كان مخطئا في ذلك، بل مبتدعا، وإن كان مجتهدا مغفورا له خطؤه. فالمقصود بيان طرق العلم وأدلته، وطرق الصواب. ونحن نعلم أن القرآن قرأه الصحابة والتابعون وتابعوهم، وأنهم كانوا أعلم بتفسيره ومعانيه، كما أنهم أعلم بالحق الذي بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم، فمن خالف قولهم وفسر القرآن بخلاف تفسيرهم فقد أخطأ في الدليل والمدلول جميعا. ومعلوم أن كل من خالف قولهم له شبهة يذكرها إما عقلية وإما سمعية، كما هو مبسوط في موضعه" (ابن تيمية عبد الحليم، 1390هـ، 38)

وسنتكلم في هذا البحث عن أهم مدارس التفسير، وهما مدرسة مكة ومدرسة العراق

الباب الأول

أولاً: مدارس التفسير:

تعددت مدراس التفسير في عهد الصحابة رضوان الله عليهم، وكان لكل مدرسة خصائصها، ومميزاتها وأساتذتها، وطلابها، فكانت هناك مدرسة الحجاز، وهي تشمل مدرستين: مدرسة مكة، وأستاذها الأكبر ابن عباس، ومدرسة المدينة، ومن أساتذتها: علي بن أبي طالب، وأبي بن كعب، ومدرسة العراق، وأستاذها الأكبر: ابن مسعود، ومدرسة الشام، ومن أساتذتها من الصحابة: أبو الدرداء الأنصاري الخزرجي، وتميم الداري راهب عصره، وعابد أهل فلسطين، ومدرسة مصر وأستاذها الأكبر: عبد الله بن عمرو بن العاص، ومدرسة اليمن وأستاذاها الأكبران: معاذ بن جبل، وأبو موسى الأشعري، إلى غير ذلك من المدارس التي انتشرت في العالم الإسلامي.

وكان آصل هذه المدارس، وأعلمها بالتفسير، مدرسة مكة؛ لأن أستاذها وشيخها: ابن عباس حبر القرآن وترجمانه، قال الإمام ابن تيمية: "أعلم الناس بالتفسير أهل مكة؛ لأنهم أصحاب ابن عباس كمجاهد وعطاء بن أبي رباح، وعكرمة مولى ابن عباس وغيرهم من أصحاب ابن عباس كطاووس، وأبي الشعثاء، وسعيد بن جبير وأمثالهم، وكذلك أهل الكوفة من أصحاب ابن مسعود، ومن ذلك: ما تميزوا به على غيرهم، وعلماء أهل المدينة في التفسير مثل: زيد بن أسلم: الذي أخذ عنه مالك التفسير، وأخذه عنه أيضا ابنه عبد الرحمن، وعبد الله بن وهب"(المصدر السابق نفسه، 24).

ثانياً: مدرسة أهل مكة

قامت مدرسة التفسير بمكة على يد عبد الله بن عباس رضى الله عنهما، فكان يجلس لأصحابه من التابعين، يُفسِّر لهم كتاب الله تعالى، ويوضح لهم ما أشكل من معانيه، وكان تلاميذه يعون عنه ما يقول، ويروون لمن بعدهم ما

DOI: 10.33193/JALHSS.52.2020.72
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (52) May 2020
العدد (52) مايو 2020

سمعوه منه. فكانت مدرسته التي كان لها سماتها وخصائصها، وأصحاب يقومون بعلمه، ويقولون بقوله، ونشروا علمه على أوسع ما يكون النشر.

مؤسس هذه المدرسة وأبرز رجالها

يعتبر عبد الله بن عباس رضي الله عنهما مؤسس نواة مدرسة أهل مكة ،الملقب بالحبر البحر، وهو عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم، ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، وهو ترجمان القرآن، دعا له النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل"(الشيباني أحمد، 1416، 160/5). وكان ابن عباس من أعلم الصحابة بتفسير القرآن، قال فيه ابن مسعود: "نِعْمَ ترجمان القرآن ابن عباس" (الحاكم محمد، 1411هـ، 618/3). وقد عُرف بغزارة العلم، حتى لقب بالحبر، والبحر، وكان الفاروق عمر رضي الله عنه يجلسه على حداثة سنة في مجلسه ويعرف قدره حتى كان يدخله مجسه مع الأشياخ من الصحابة، يروي عن الحسن البصري: أن ابن عباس كان من القرآن بمنزل، كان عمر يقول: "ذاكم فتى الكهول، إن له لسانا سئولاً، وقلبا عقولا" وقد مر أنه لما وجد بعض الصحابة من إدخاله معهم، وقالوا: إن لنا أبناء مثله دعاه، ودعاهم، ثم سألهم وسأله، فتبين لهم أنه ليس كغيره، وأن له من العلم ما يؤهله لذلك. وقال الأعمش عن أبي وائل: "استخلف علي عبد الله بن عباس على الموسم، فخطب الناس، فقرأ في خطبته سورة البقرة، وفي رواية: سورة النور، ففسرها تفسيرا لو سمعته الروم والترك، والديلم لأسلموا"(الطبري جرير، 1422هـ، 81/1).

وقد ورد عنه في تفسير القرآن ما لا يحصى كثرة، ورويت عنه من طرق كثيرة، وفيها الصحيح، والحسن، والضعيف، بل والموضوع شيء كثير، وأما التفسير المطبوع المنسوب إليه، ففي صحة نسبته إليه شك غير قليل، وليس هنا موضع بيان ذلك.(الزرقاني عبد العظيم، 1420هـ، 16/2).

وقد نقد أئمة الحديث، وصيارفته العارفون بالرجال جرحا، وتعديلا، وبالعلل المرويات عنه، وطرقها عنه، وبيَّنوا الغث من السمين، والمقبول من المردود. وكانت وفاته بالطائف سنة ثمانٍ وستين للهجرة، وقبره هناك معروف، فرضي الله عنه وأرضاه. (الذهبي محمد، 1405هـ، 359/3)

وقد اشتهر من تلاميذ ابن عباس بمكة:

1. سعيد بن جبير بن هشام الأسدي: أبو محمد، حبشي الأصل، أسود اللون، أبيض الخصال، أخذ عن ابن عباس- رضى الله عنهما- القراءة والتفسير، وهو ثقة حجة.
2. مجاهد بن جبير: أبو الحجاج المخزومي، أوثق تلاميذ ابن عباس- رضى الله عنهما- من القراء المشهورين، توفى بمكة سنة ١٠٤ هـ وهو ساجد.
3. عكرمة (مولى ابن عباس) أبو عبد الله البربري المدني، أصله من البربر بالمغرب. كان جريئا على العلم، ولذلك توقف بعض العلماء عن توثيقه، ومع ذلك فعكرمة- يرحمه الله- لم يثبت عليه شيء يلام عليه، وقد فند مطاعن الطاعنين عليه الشيخ محمد حسين الذهبي فلتراجعه هناك، وتوفى- رحمه الله- سنة ١٠٤ هـ.
4. طاووس بن كيسان اليماني الحميري. أبو عبد الرحمن. كان على جانب عظيم من الورع والتقوى حتى صار شيخ اليمن، جالس أكثر من خمسين صحابياً، وكان خبيراً متقناً لمعاني كتاب الله تعالى، توفى سنة ١٠٦ هـ بمكة المكرمة أثناء حجه إليها من اليمن.
5. عطاء بن أبى رباح المكيّ القرشي: أبو محمد، توفى سنة ١١٤ هـ. كان من سادات التابعين فقها وعلما، وورعا، وفضلا زيّنه الله بالعلم ونوّره بالورع، وأفاض عليه من نوره مع أنه كان- يرحمه الله- أسود، أعور، أفطس، أشل، أعرج، ثم عمى بعد ذلك، فأنّا يدانيه منّا أحد.

ثالثاً: مدرسة أهل العراق

قامت مدرسة التفسير بالعراق على عبد الله بن مسعود رضى الله عنه، وكان هناك غيره من الصحابة أخذ عنهم أهل العراق التفسير، غير أن عبد الله ابن مسعود كان يعتبر الأستاذ الأول لهذه المدرسة، نظراً لشهرته في التفسير وكثرة المروى عنه في ذلك، ولأن عمر رضى الله عنه لما وَلَّى عمار بن ياسر على الكوفة، سيَّر معه عبد الله بن مسعود مُعلِّماً ووزيراً، فكونه مُعلِّم أهل الكوفة بأمر أمير المؤمنين عمر، جعل الكوفيين يجلسون إليه، ويأخذون عنه أكثر مما يأخذون عن غيره من الصحابة. ويمتاز أهل العراق بأنهم أهل الرأي. وهذه ظاهرة نجدها بكثرة في مسائل الخلاف، ويقول العلماء: إن ابن مسعود هو الذى وضع الأساس لهذه الطريقة في الاستدلال، ثم

DOI: 10.33193/JALHSS.52.2020.72
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (52) May 2020
العدد (52) مايو 2020

توارثها عنه علماء العراق، ومن الطبيعي أن تؤثر هذه الطريقة في مدرسة التفسير، فيكثر تفسير بالرأي والاجتهاد، لأن استنباط مسائل الخلاف الشرعية، نتيجة من نتائج إعمال الرأي في فهم نصوص القرآن والسُّنَّة (الذهبي محمد السيد، 1426هـ، 89/1) وهي من المدارس التي أصبحت لها قيمتها العلمية، وكان تلاميذ هذه المدرسة منهم من كان ببغداد، ومنهم من كان بالكوفة، ومنهم من كان بالبصرة.

مؤسس هذه المدرسة وأشهر رجالها

كان أستاذ هذه المدرسة ومؤسس نواتها هو الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود، وهو الذي قام بنشرها في العراق، أسلم قديما، وكان كثير الملازمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحب سواكه، ومطهرته، وحامل نعليه، كان من حفاظ القرآن المجيدين له، والمعروفين بإقرائه للصحابة وغيرهم، وكان من أحفظ الصحابة لكتابة الله، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب أن يسمع منه القرآن. (البخاري محمد، 1422هـ، 45/6).

وفي الصحيحين عن شقيق بن سلمة قال: "خطبنا عبد الله، فقال: والله لقد أخذت من في رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعا وسبعين سورة، والله لقد علم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أني من أعلمهم بكتاب الله، وما أنا بخيرهم" (النيسابوري مسلم، 1392هـ، 1912/4).

وعند البخاري أيضاً عن مسروق، قال: ذكر عبد الله بن مسعود عند عبد الله بن عمرو -يعني ابن العاص، فقال: لا أزال أحبه بعد ما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "خُذُوا القرآن من أربعة: من عبد الله بن مسعود، وسالم، ومعاذ، وأبي بن كعب"(البخاري محمد، مصدر سابق، 36/1). وقد كان من أعلم الناس بتفسير القرآن الكريم، بل كان يرى نفسه أنه أعلم الناس بكتاب الله؛ روى البخاري في صحيحه بسنده عن ابن مسعود قال: "والله الذي لا إله غيره ما أنزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت، ولا نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيمن نزلت، ولو أعلم أحدًا أعلم بكتاب الله مني تبلغه الإبل لركبت إليه"(البخاري محمد، مصدر سابق، 187/6). وناهيك برجل زكاه علي بن أبي طالب، وشهد له بسعة علمه بالقرآن والسنة، أخرج أبو نعيم عن أبي البختري، قال: قالوا لعلي: أخبرنا عن ابن مسعود قال: "عَلِمَ القرآن والسنة ثم انتهى، وكفى بذلك علما"(ابن أبي شيبة عبد الله، 1409هـ، 385/6). وشهد له من التابعين: مسروق بن الأجدع من خيار التابعين وفضلائهم قال: وجدت أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم مثل الإخاذ يروي الواحد، والإخاذ يروي الاثنين، والإخاذ لو ورد عليه الناس أجمعون لأصدرهم وإن عبد الله بن مسعود من تلك الإخاذ"(القرطبي محمد، 1384هـ، 35/1). وقد كان له تلاميذ أخذوا عنه، وتخرجوا به، وملأوا الأرض من علمه، روي عن الإمام على بن المديني أنه قال: "لم يكن أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم له أصحاب يقومون بقوله في الفقه، إلا ثلاثة: عبد الله بن مسعود، وزيد بن ثابت، وابن عباس، كان لكل رجل منهم أصحاب يقولون بقوله، ويفتون الناس".

وقد أقام رضى الله عنه بالكوفة يأخذ عنه أهلها الحديث والتفسير والفقه، وهو معلمهم وقاضيهم، ومؤسس طريقتهم في الاعتداد بالرأي حيث لا يوجد النص، ولما قدم عليٌّ الكوفة، حضر عنده قوم وذكروا له بعض قول عبد الله وقالوا: يا أمير المؤمنين؛ ما رأينا رجلاً أحسن خُلُقاً، ولا أرفق تعليماً، ولا أحسن مجالسة، ولا أشد ورعاً من ابن مسعود، قال علىّ: "أنشدكم الله أهو الصدق من قلوبكم"؟ قالوا: نعم، قال: "اللَّهم اشهد أنى أقول مثل ما قالوا وأفضل".

وابن مسعود أكثر مَن رُوِى عنه في التفسير من الصحابة بعد ابن عباس رضى الله عنه، قال السيوطي في الإتقان: وأما ابن مسعود فقد رُوِى عنه أكثر مما رُوى عن علىّ، وقد حمل علم ابن مسعود في التفسير أهل الكوفة نظراً لوجوده بينهم(السيوطي عبد الرحمن، 1394هـ، 234/4).

وقد رويت عنه روايات كثيرة في التفسير، وقد عني بها أئمة الحديث ونقدوها، وبينوا الصحيح من الضعيف، والمقبول من المردود.

وكانت وفاته سنة اثنتين وثلاثين، وقيل ثلاث وثلاثين فرضى الله عنه وأرضاه.

وقد تتلمذ على يديه من أهل العراق كثير من التابعين، اشتهر من بينهم:

1. علقمة بن قيس بن عبد الله النخعي الكوفي. أشهر من روى عن ابن مسعود، وأعلمهم بعلمه على الإطلاق، كان ثقة، مأمونا، حتى قال فيه مرة الهمداني: «كان علقمة من الربانيين». مات وعمره تسعون سنة في «٦١ هـ».

DOI: 10.33193/JALHSS.52.2020.72
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (52) May 2020
العدد (52) مايو 2020

2. مسروق بن الأجدع بن مالك الهمداني الكوفي: أبو عائشة. قيل: سمّى مسروق، لأنه سُرق في صغره ثم وجد. كان من أعلم تلاميذ ابن مسعود، وكان شريح القاضي يستشيره في معضلات المسائل، امتاز بورعه، وعلمه، وعدالته، وكانت وفاته سنة «٦٣ هـ».
3. الأسود بن يزيد بن قيس النخعي: أبو عبد الرحمن، المتوفى سنة «٧٤ هـ» بالكوفة. كان من كبار التابعين، وثقاتهم، على جانب عظيم من فهم كتاب الله وكان من صوّام الدهر معدود في أصحاب ابن مسعود بالإفتاء.
4. مرّة بن شراحيل الهمداني، الكوفي العابد، الملقب ب «مرة الخير». و «مرة الطيب» لكثرة صلاحه، وشدة روعه. سجد «مرة» حتى أكل التراب وجهه، وكان يصلى كل يوم ستمائة ركعة. توفى سنة «٧٦ هـ» (ابن حجر علي، 1406هـ، 10/ 88-89).
5. عامر الشعبي: عامر بن شراحيل الشعبي، الحميري، الكوفي، التابعي الجليل، قاضى الكوفة، سمع من ثمانية وأربعين صحابيا. يقول عنه ابن سيرين: «قدمت الكوفة وللشعبي حلقة، وأصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يومئذ كثير». كان فقيها، شاعرا، ثقة، وكان يقال عنه: «ابن عباس في زمانه».
6. الحسن البصرى: الحسن بن أبى الحسن يسار البصرى، مولى الأنصار كان غزير العلم بكتاب الله، جامعا، عالما، فقيها، ثقة، مأمونا، قال فيه أبو جعفر الباقر: «ذلك الذى يشبه كلامه كلام الأنبياء.
7. قتادة بن دعامة السدوسي: أبو الخطاب الأكمه، عربي الأصل، سكن البر. كان واسع الاطلاع في الشعر العربي، بصيرا بأيام العرب، عليما بأنسابهم وكان ثقة، مأمونا، وكان من علماء الناس بالقرآن والفقه، ومن حفاظ زمانه.

الباب الثاني
أسباب نبوغ ابن عباس وابن مسعود في التفسير

ابن عباس:
أما ابن عباس رضي الله عنهما فنستطيع أن نُرجِع هذه الشهرة العلمية، وهذا النبوغ الواسع الفيَّاض، إلى أسباب نجملها فيما يلي:
أولاً: دعاء النبي صلى الله عليه وسلم له بقوله: "اللَّهم علِّمه الكتاب والحكمة"، وفى رواية أخرى: "اللَّهم فقِّهه في الدين، وعلِّمه التأويل"، والذى يرجع إلى كتب التفسير بالمأثور، يرى أثر هذه الدعوة النبوية، يتجلى واضحاً فيما صح عن ابن عباس رضى الله عنه.
ثانياً: نشأته في بيت النبوة، وملازمته لرسول الله صلى الله عليه وسلم من عهد التمييز، فكان يسمع منه الشيء الكثير، ويشهد كثيراً من الحوادث والظروف التي نزلت فيها آيات القرآن.
ثالثاً: ملازمته لأكابر الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، يأخذ عنهم ويروى لهم، ويعرف منهم مواطن نزول القرآن، وتواريخ التشريع، وأسباب النزول، وبهذا استعاض عما فاته من العلم بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتحدَّث بهذا ابن عباس عن نفسه فقال: "وجدتُ عامة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الأنصار، فإن كنتُ لآتى الرجلَ فأجده نائماً، لو شئتُ أن يُوقَظ لي لأُوقظ، فأجلس على بابه تسفى على وجهى الريح حتى يستيقظ متى ما استيقظ، وأسأله عما أريد، ثم أنصرف"(ابن سعد محمد، 1410، 281/2).
رابعاً: حفظه للغة العربية، ومعرفته لغريبها، وآدابها، وخصائصها، وأساليبها، وكثيراً ما كان يستشهد للمعنى الذى يفهمه من لفظ القرآن بالبيت والأكثر من الشعر العربي، وقد امتاز بهذه الناحية واشتهر بها أكثر من غيره، فكثيراً ما كان يُسئل عن القرآن فينشد فيه الشعر، وقد رُوى عنه الشيء الكثير من ذلك، وأوعب ما رُوى عنه مسائل نافع بن الأزرق وأجوبته عنها، وقد بلغت مائتي مسألة (السيوطي عبد الرحمن، مصدر سابق، 67/2).
هذا وقد بيَّن لنا ابن عباس رضى الله عنه، مبلغ الحاجة إلى هذه الناحية في التفسير، وحضَّ عليها مَن أراد أن يتعرف غريب القرآن، فقد روى أبو بكر الأنباري عنه أنه قال: "الشعر ديوان العرب، فإذا خفى علينا الحرف من القرآن الذى أنزله الله بلغة العرب، رجعنا إلى ديوانها فالتمسنا ذلك منه"(ابن الأنباري محمد، 1390هـ، 100/1).
وروى ابن الأنباري عنه أيضاً أنه قال: "إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر، فإن الشعر ديوان العرب"(المصدر السابق نفسه، 62/1).

DOI: 10.33193/JALHSS.52.2020.72
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (52) May 2020
العدد (52) مايو 2020

فابن عباس رضى الله عنه كان يرى رأى عمر في ضرورة الرجوع إلى الشعر الجاهلي، للاستعانة به على فهم غريب القرآن، بل وكان أكثر الصحابة إلماماً بهذه الناحية وتطبيقاً لها.

خامساً: بلوغه مرتبة الاجتهاد، وعدم تحرجه منه، وشجاعته في بيان ما يعتقد أنه الحق، دون أن يأبه لملامة لائم ونقد ناقد، ما دام يثق بأن الحق في جانبه(الذهبي محمد، مصدر سابق، 52/1).

سادساً: صاحب قراءة، على الرغم أن قراءته ليست من القراءات المتواترة المشهورة إلا أنها ساعدته في تفسير القرآن الكريم وتوضيح مراده في كثير من المواطن، فمن ذلك: القراءة المنسوبة له: "ليس عليكم جُناحٌ أن تبتغوا فضلاً من ربكم في مواسم الحج".. فسَّرت القراءة الأخرى التي لا زيادة فيها، وأزالت الشك من قلوب بعض الناس الذين كانوا يتحرَّجون من الصفق في أسواق الحج.

سابعاً: انقطاعه وتفرغه للنشر والدعوة والتعليم دون أن تشغله خلافة أو تصرفه سياسية وتدبير لشؤون الرعية غير أن الرواية عنه مختلفة الدرجات.

ابن مسعود

أما ابن مسعود فترجع أسباب نبوغه وشهرته إلى أسباب منها:

أولاً: ملازمته للنبي صلى الله عليه وسلم وتقم إسلامه، فقد نقل عنه قوله: أخذت من فَيِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين سورة.

وقال عقبة بن عمرو: ما أدرى أحداً أعلم منه بما نزل على محمد ابن عبد الله، فقال أبو موسى: إن تقل ذلك، فإنه كان يسمع حين لا نسمع، ويدخل حين لا ندخل (الحاكم محمد، مصدر سابق، 357/3)

ثانياً: انتسابه إلى قبيلة هذيل العربية الفصيحة.

ثالثاً: نبوغه وفقهه، يشهد له بذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم له: "إِنَّكَ غُلَامٌ مُعَلَّمٌ"(الطيالسي سليمان، 1419هـ، 276/1).

رابعاً: شهرته في القراءات، فقد كان صاحب قراءة ساعدته أن يكون إمام في التفسير كونه صاحب قراءة معروفة، استعان بها على تفسير كثير من الآيات القرآنية ومن ذلك قراءته في قوله تعالى: "أو يكون لك بيت من ذهب" تفسِّر لفظ الزخرف في القراءة المشهورة: {أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ} (الإسراء، 93)

ومما يؤيد أن القراءات مرجع مهم من مراجع تفسير القرآن بالقرآن، ما روى عن مجاهد أنه قال: "لو كنتُ قرأتُ قراءة ابن مسعود قبل أن أسأل ابن عباس ما احتجتُ أن أسأله عن كثير مما سألته عنه"(الترمذي محمد، 1395هـ، 200/5).

وهذا القول يدل على مدى أهمية قراءة ابن مسعود رضي الله عنه في تفسير القرآن الكريم.

خامساً: معرفته بالمكي والمدني، فقد اشتهر بذلك بين الصحابة رضوان الله عليهم، - روى البخاري بسنده عنه أنه قال: «والله الذي لا إله غيره ما نزلت سورة من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت ولا نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيما أنزلت ولو أعلم أحدا أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه» (البخاري محمد، مصدر سابق، 187/6) وقد اعتبر كثير من العلماء ابن مسعود رضي الله عنه رائد هذا العلم ومؤسسه.

خصائص المدرستين

لا شك أن كل مدرسة قد تأثرت بصاحبها وطريقة تفكيره وفهمه للنصوص وتفسيرها، وقد بدا هذا واضحاً جلياً في مدرسة أهل العراق، التي غلب عليها طابع التفسير بالرأي في المسائل التي لا نصوص فيها، أكثر منه في مدرسة أهل مكة، التي اعتمدت على النصوص، وتوقفت فيما وراء ذلك.

وتعتبر المدرسة العراقية رائدة التفسير بالرأي، حتى أن العلماء يقولون بأن ابن مسعود هو الذي أسس الرأي في مسائل الخلاف وهو الذي وضع الأساس لهذه الطريقة في الاستدلال، والتي اشتهر بها أهل العراق فيما بعد، ولا شك أن هذه الطريقة قد أثرت في ظهور تفسير القرآن الكريم بالاجتهاد والرأي خاصة في استنباط المسائل الشرعية للواقعات المستجدة في عصورهم كنتيجة طبيعية لإعمال الرأي في فهم النصوص الشرعية من القرآن والسنة (عبد الجواد خلف، 1422هـ، 104).

DOI: 10.33193/JALHSS.52.2020.72
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (52) May 2020
العدد (52) مايو 2020

مكانتهم في التفسير

تعتبر المدرستان المكية والعراقية أهم مدراس التفسير في عهد الصحابة والتابعين، فقد تفوق ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما على أقرانهما من الصحابة في التفسير، لما ذكرنا سابقاً من أسباب، ويعتبر العلماء اتباع مدرسة ابن عباس أعلم الناس بالتفسير لأنهم أصحاب ابن عباس كمجاهد وعطاء بن أبي رباح وعكرمة مولى ابن عباس وسعيد بن جبير وطاووس (ابن تيمية أحمد، مصدر سابق، 24)

ويرى الزركشي: أن الاختلاف إن كان بين الصحابة وتعذر الجمع، قُدِّم قول ابن عباس على قول غيره، وعلَّل ذلك فقال: "لأن النبي صلى الله عليه وسلم بَشَّره حيث قال: "اللَّهم عَلِّمه التأويل"(الزركشي محمد، 1376هـ، 170/2).

وذلك لمكانة ابن عباس رضي الله عنهما بين الصحابة.

نقلهم عن أهل الكتاب

لم يكن للرجوع إلى أهل الكتاب أهمية بالغة في التفسير في زمن الصحابة رضي اله عنهم ، وإنما كان مصدراً ضيِّقاً محدوداً، وذلك أن التوراة والإنجيل وقع فيهما كثير من التحريف والتبديل، وكان طبيعياً أن يحافظ الصحابة على عقيدتهم، ويصونوا القرآن عن أن يخضع في فهم معانيه لشيء مما جاء ذكره في هذه الكتب التي لعبت فيها أيدى المحرِّفين، فكانوا لا يأخذون عن أهل الكتاب إلا ما يتفق وعقيدتهم ولا يتعارض مع القرآن. أما ما اتضح لهم كذبه مما يعارض القرآن ويتنافى مع العقيدة فكانوا يرفضونه ولا يصدِّقونه، ووراء هذا وذاك ما هو مسكوت عنه، لا هو من قبيل الأول، ولا هو من قبيل الثاني، وهذا النوع كانوا يسمعونه من أهل الكتاب ويتوقفون فيه، فلا يحكمون عليه بصدق ولا بكذب (الذهبي محمد، مصدر سابق، 48/1).

مهما يكن من شيء فإن الصحابة - رضى الله عنهم - لم يخرجوا عن دائرة الجواز التي حدَّها لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعما فهموه من الإباحة في قوله عليه السلام: "بلِّغوا عنى ولو آية، وحَدِّثوا عن بنى إسرائيل ولا حَرَج، ومَن كذب علىَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار" (البخاري محمد، مصدر سابق، 170/4).

كما أنهم لم يخالفوا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تُصدِّقوا أهل الكتاب ولا تُكَذِّبوهم، وقولوا: آمنا بالله وما أُنزل إلينا ... الآية"(المصدر السابق نفسه، 20/6) ولا تعارض بين هذين الحديثين، لأن الأول أباح لهم أن يُحَدِّثوا عما وقع لبنى إسرائيل من الأعاجيب، لما فيها من العبرة والعظة، وهذا بشرط أن يعلموا أنه ليس مكذوباً، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يعقل أن يبيح لهم رواية المكذوب.

هذا هو شأن الصحابة أجمعين في الأخذ عن بني إسرائيل، وخاصة أصحاب التفسير ومنهم ابن عباس وابن مسعود، فقد كانوا ينقلون بعض الأقاويل التي أباحها لهم النبي صلى الله عليه وسلم، فقد صح أن ابن عباس روى عن كعب الأحبار، لكن هذا الأخذ كان في نطاق ضيق جدا، بحكم اتفاق القرآن مع التوراة والإنجيل في كثير من المواضع التي أُجمِلت في القرآن وفُصِّلت في التوراة أو الإنجيل، ولكن كما قلنا فيما سبق: إن الرجوع إلى أهل الكتاب كان في دائرة محدودة ضيِّقة، تتفق مع القرآن وتشهد له، أما ما عدا ذلك مما يتنافى مع القرآن، ولا يتفق مع الشريعة الإسلامية، فكان ابن عباس لا يقبله ولا يأخذ به.

أما أتباعهم فقد توسَّعوا في الأخذ عن أهل الكتاب، فكثرت على عهدهم الروايات الإسرائيلية في التفسير، ويرجع ذلك لكثرة مَن دخل مِنْ أهل الكتاب في الإسلام، وميل نفوس القوم لسماع التفاصيل عما يشير إليه القرآن من أحداث يهودية أو نصرانية، فظهرت في هذا العهد جماعة من المفسِّرين أرادوا أن يسدُّوا هذه الثغرات القائمة في التفسير بما هو موجود عند اليهود والنصارى.

والظاهر أن اتباع ابن عباس قد أخذوا من الإسرائيليات أكثر مما أخذ اتباع ابن مسعود، وذلك يعود إلى أن اتباع ابن عباس اعتنوا بالتفسير بالمأثور فكانوا يعتمدون على النصوص المتوفرة لهم لتفسير آيات القرآن الكريم، أما اتباع ابن مسعود فكانوا يلجؤون إلى الاجتهاد والقول بالرأي في المسائل التي لا نص فيها.

DOI: 10.33193/JALHSS.52.2020.72
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (52) May 2020
العدد (52) مايو 2020

النتائج

1. برز عدد كبير من الصحابة في تفسير القرآن الكريم، إلا أنهم تفاوتوا فيما بينهم من حيث القلة والكثرة، وكان من أبرزهم ابن عباس وابن مسعود وأبي بن كعب، وعلي بن أبي طالب.
2. كانت مدرسة أهل مكة ومدرسة أهل العراق من أبرز المدارس التي اشتهرت وانتشرت، وكان أتباعها من أعلام التابعين وعلمائهم.
3. أسس ابن عباس المدرسة المكية في التفسير ووضع نواتها في مكة، وقد اشتهرت بروايتها للتفسير بالمأثور.
4. اسس ابن مسعود المدرسة العراقية في التفسير، وكان أتباعها من أهل العراق نظراً لبعثه من قبل عمر بن الخطاب معلماً ووزيراً هناك.
5. يعتبر المدرسة العراقية رائدة علم التفسير بالرأي، ويعتبر كثير من العلماء ابن مسعود واضع نواة التفسير بالرأي الذي اشتهر به أهل العراق لاحقاً.
6. تميزت كل مدرسة من المدرستين بخصائص صاحبها ومؤسسها في التفسير وكان لكل مدرسة طابعها الخاص بها.
7. لم يتوسع ابن مسعود وابن عباس في الأخذ من أهل الكتاب، إلا أن اتباعهم فيما بعد قد أخذوا من أهل الكتاب الغث والسمين.
8. يعتقد الباحث أن أصحاب المدرسة المكية قد تأثروا بأهل الكتاب أكثر من أصحاب المدرسة العراقية، وذلك أن أصحاب المدرسة العراقية لجأوا إلى الاجتهاد والرأي أكثر من المدرسة المكية.
9. كان لهذين المدرستين فضل كبير بل الفضل الأكبر في تفسير القرآن الكريم ونشر علوم بين المسلمين، ثم التأسيس لعصر التدوين في التفسير.

DOI: 10.33193/JALHSS.52.2020.72
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (52) May 2020
العدد (52) مايو 2020

المصادر والمراجع

1. ابن أبي شيبة عبد الله بن محمد ،1409هـ، *المصنف في الأحاديث والآثار*، ط1، الرياض، مكتبة الرشد.
2. ابن الأنباري محمد بن القاسم، 1390هـ، *إيضاح الوقف والابتداء*، دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربي.
3. ابن تيمية أحمد عبد الحليم الحراني، 1390هـ، *مقدمة في أصول التفسير*، بيروت، دار مكتبة الحياة.
4. ابن حجر أحمد بن علي العسقلاني، 1406هـ، *تقريب التهذيب*، ط1، سوريا، دار الرشيد.
5. ابن سعد محمد بن سعد، 1410هـ، *الطبقات الكبرى*، ط2، بيروت، دار الكتب العلمية.
6. ابن كثير إسماعيل بن عمر، 1419هـ ، *تفسير القرآن العظيم*، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية.
7. البخاري محمد بن إسماعيل ، 1422هـ، *صحيح البخاري*، ط1، دار طوق النجاة.
8. البيهقي أحمد بن الحسين، 1408هـ، *دلائل النبوة*، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية.
9. الترمذي محمد بن عيسى 1395هـ، *سنن الترمذي*، ط2، القاهرة، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي.
10. الحاكم محمد بن عبد الله، 1411هـ، *المستدرك على الصحيحين*، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية .
11. الذهبي محمد السيد، 1426هـ، *التفسير والمفسرون*، القاهرة، دار الحديث.
12. الذهبي محمد بن أحمد بن عثمان، 1405هـ، *سير أعلام النبلاء*، ك3، بيروت، مؤسسة الرسالة.
13. الزرقاني محمد عبد العظيم، *مناهل العرفان في علوم القرآن*، ط3، القاهرة، طبعة عيسى البابي الحلبي.
14. الزركشي محمد بن عبد الله، 1376هـ، *البرهان في علوم القرآن*، ط1، دار إحياء الكتب العربية.
15. السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر، 1394هـ، *الاتقان في علوم القرآن*، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتب.
16. الشيباني أحمد بن حنبل، 1416هـ، *المسند*، ط1، القاهرة، دار الحديث.
17. الطبراني سليمان بن أحمد، *المعجم الكبير*، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط2، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي.
18. الطبري محمد بن جرير،1422هـ، *تفسير الطبري*، ط1، مصر، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع.
19. الطيالسي أبو داود سليمان بن داود، 1419هـ، *مسند أبي داود الطيالسي*، ط1، دار هجر، مصر.
20. عبد الجواد عبد الجواد خلف محمد، 1422هـ، *مدخل إلى التفسير وعلوم القرآن*، القاهرة، دار البيان العربي.
21. القرطبي محمد بن أحمد، 1384هـ، *الجامع لأحكام القرآن*، ط2، القاهرة، دار الكتب المصرية.
22. النيسابوري مسلم بن الحجاج، *صحيح مسلم*، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

DOI: 10.33193/JALHSS.52.2020.72
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (52) May 2020
العدد (52) مايو 2020

References

1. Ibn Abi Shaybah, Abdullaah bin Muhammad Ibn Ibraaheem, Al-Musannaf, Arrushd library, Riyadh, 1st ed. 1409 H.
2. Ibn Al-Anbari, Muhammad Ibn Al-Qasim Ibn Muhammad, Idah al-waqf wa-l-ibtida fi kitab Allah, Majma' Al-lugha Al-Arabiya, Damascus, 1390 H.
3. Ibn Taymiyyah: Ahmad Abd Al-Halim Al-Harrani, Muqaddima fi usul al-tafsir, Dar Maktabat Al-Hayah, Beirut, 1390 H.
4. Ibn Hajar al-Asqalani, Ahmad ibn Ali al-Kannani al-Asqalani, Taqrib al-Tahdhib, Dar al-Rashid, Syria, 1st ed, 1406 H.
5. Ibn Saad, Muhammad Ibn Saad, Al-Tabaqat Al-Kubra, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyah, Beirut, 1st ed., 1411 H.
6. Ibn Kathir, Ismail ibn Umar Ibn Kathir al-Qurashi Al-Damishqi, Tafsir al-Quran al-azim, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyah, Beirut, 1st ed., 1419 H.
7. Al-Bukhary, Muhammad bin Ismail, al-Jami' al-Sahih al-Musnad min Hadith Rasul Allah wa Sunanih wa ayyamih known as Sahih Al-Bukhary, Dar Tawq al-Najah, 1st ed., 1422 H.
8. al-Bayhaqi, Ahmad bin al-Husayn al-Bayhaqi, Dala'il al-Nubuwwah, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyah, Beirut, 1st ed., 1408 H.
9. Al-Tirmidhi , Muhammad ibn Isa ibn Surah, Sunan Al-tirmidhi, Maktabat wa matba'at Mustaf Al-Babi Al-Halabi, cairo, 2nd ed., 1395 H.
10. Al-Hakim, Muhammad ibn Abdullah al-Hakim al-Nishapuri, Al-Mustadrak 'ala Al-Sahihain, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyah, Beirut, 1st ed., 1411 H.
11. al-Dhahabi, Muhammad Alsayed Muhammad, Al-Tafsir wa Al-mufassirun, Dar al-hadith, Cairo, 1426 H.
12. al-Dhahabi, Muhammad ibn Ahmed ibn Othman, Siyar A'lam Al-Nubala', Mu'assassat al-Risalah, 3rd ed., Beirut, 1405 H.
13. Al-Zarqani, Muhammad 'Abd Al-'Azim, Manahil Al-'Irfan fi 'Ulum Al-Quran, tab'at Isa Al-Babi Al-Halabi, 3rd ed.
14. Al-Zarkashi Muhammad ibn Abdullah, Al-Burhan fi ulum Al-Qur'an, Dar Ihya' al Kutub al 'Arabiyah, 1st ed. Cairo, 1376 H.
15. Al-Suyuti, `Abd al-Rahman Ibn abi bakir, Al itqan fi ulum al quran, General Egyptian Book Organization, 1394 H.
16. Al-Shaybani, Ahmad bin Hanbal, al-Musnad, Tahqiq Ahmad Muhammad Shakir, Dar Al-Hadith, 1st ed., Cairo, 1416 H.
17. Al-Tabrani, Sulaiman Ibn Ahmed, Al-Mu'jam Al-Kabir, Tahqiq Hamdi Ibn Abdul Majeed Al Salafi, Maktabat Ibn Taymuyyah, 2nd ed. Cairo.
18. Al-Tabari, Muhammad ibn Jarir, Tafsir al-Tabari, Dar Hajar, 1st ed., Cairo, 1422 H.
19. Al-Tayalisi, Abu Dawood Sulaiman Ibn Dawod, Musnad Abi Dawud Al Tayalisi, Dar Hajar, 1st ed., Cairo, 1419 H.
20. Abduljawad, Abduljawad Khalaf Muhammad, Madkhal ila al-tafsir wa ulum al-Quran, Dar Al-Bayan al-Arabi, Cairo.
21. Al-Qurtubi, Muhammmad Ibn Ahmed, Al-Jami' li Ahkam Al-Quran, Dar Al-Kutub Al-Misriyah, 2nd ed., Cairo, 1384 H.
22. Al-Naysaburi, Muslim ibn Al-Hajjaj, Sahih Muslim, Dar Ihya' al-Turath al-'Arabi, Beirut.